مدخل لدراسة ماهيّة الأرض في القرآن



حميد الرميثي، أرشيف الأرض المسطحة، 19 يونيو 2020.

مِنها خُلقنا وفيها نُعاد ثم نُخرج منها ونُبعث، إنها أرض الله التي وصفها فقال عنها أنها واسعة، إنها أرض الله التي جعلنا فيها خُلفاء، فما هي الأرض وماذا أخبرنا الله عنها؟

الأَرْض: التي عليها الناس، أُنثى وهي اسم جنس، والجمع آراضٌ وأُرُوض وأَرَضُون. وتأرض فلان بالمكان أي ثبت ولم يبرح مكانه ومن معانيه أيضًا التثاقل، وأرض الدابة ما ولي الأرض منها أو قوامها أو أسفل قوامها (1).

أما لفظ الأرض في القرآن فقد يعني عموم الأرض ككُل، أو بمعنى بلد بعينه، أو بمعنى الجنة (2). وأغلب ما ورد هو بمعنى عموم الأرض، وكثيرًا ما تُقرن الأرض بالسماء، فالأرض كل ما يسفل والسماء كل ما يعلو.

الأرض تُقرن بالسماء

عندما تُذكر الْأَرْض في القرآن فكثيرًا ما تُقرن بالسَّمَاء، وأما الْبَرّ وتعني اليابسة فتُقرن بالْبَحْر.

فمما ورد في القرآن من **اقتران الأرض مع السماء** :(الحمد لله فاطر السماوات والأرض)، (بديع السماوات والأرض)، (له ما في السماوات والأرض)، (له مقاليد السماوات والأرض).

ومما ورد في القرآن من **اقتران البر مع البحر** :(قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر)، (هو الذي يسيركم في البر والبحر)، (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر)، (ظهر الفساد في البر والبحر).

فنستنتج مما سبق أن لفظ الأرض تعني كُلّ الأرض، أي: البر والبحر مُجتمِعَين. والأرض هو السفل، ويُقابله السماء وهو العلو [3].

الأرض مبسوطة وواسعة

أخبرنا الله أن عدد السماوات سبعة وعدد الأرضين مثلهن، واختلف أهل التفسير في كيفيتهن هل الأرضين متطابقة فوق بعضها أم متجاورة.

(الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا) [الطلاق: 12].

الأرض في الأسفل ويقابلها السماء في الأعلى.

(والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان * والأرض وضعها للأنام) [الرحمن: 7 - 10].

ذكر الله أن الأرض سُطِحَتْ، وسُطِحَتْ بوزن فُعِلَتْ، وسَطَح الشَّيء أي بسَطهُ وسوّاه ومدّهُ.

(وإلى الأرض كيف سُطِحَتْ) [الغاشية: 20].

ذكر الله تعالى أن الأرض مهدًا، ومِهادًا، ووصف صنيعته فقال فنِعم الماهِدون، ومَهَدَ الشَّيء يعني بسطهُ وسهلهُ وهيأهُ. ومَهْدُ الرَّضيعِ سريره الذي يُهيأ لينام عليه، والمِهاد هو الفِراش وهو ما يُبسط ويكون صالحًا للنوم أو للتمدد والتقلب عليه، وفَرَشَ الشَّيء أي بسطه.

("الذي جعل لكم الأرض مهدًا" وجعل لكم فيها سبلًا لعلكم تهتدون) ا[الزخرف: 10].

("الذي جعل لكم الأرض مهدًا" وسلك لكم فيها سبلًا وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجًا من نبات شتى) [طه: 53].

(ألم نجعل الأرض مهادًا) [النبأ: 6].

(والأرض فرشناها فنعم الماهِدون) [الذاريات: 48].

("الذي جعل لكم الأرض فراشًا" والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون) [البقرة: 22].

ذكر الله أنه مد الأرض، ومدَّ الشَّيء أي بسطه.

(وهو الذي "مد الأرض" وجعل فيها رواسي وأنهارًا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) [الرعد: 3].

("والأرض مددناها" وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) [الحجر: 19].

("والأرض مددناها" وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) [ق: 7].

ذكر الله كلمة أنه دحا وفي موضع آخر طحا الأرض، قال الفراء: طَحاها ودَحاها واحدٌ، قال شمر: معناه ومَنْ دَحاها فأَبدَل الطاءَ من الدَّالِ، قال: ودَحاها وسَّعَها.

(والأرض بعد ذلك دحاها) [النازعات: 30].

(والأرض وما طحاها) [الشمس: 6].

وأخبر الله أن الأرض كفاتًا لما فوقها من الأحياء والأموات، فالكِفت هو الوعاء.

(ألم نجعل الأرض كفاتًا) [المرسلات: 25].

وذكر الله على لسان نبيه نوح أنه جعل الأرض بساطا، وبسط نقيض القبض، بسط الشيء أي جعله سهلًا يسيرًا خاليًا من التعقيد، ومده، ونشره.

(والله جعل لكم الأرض بساطًا) [نوح: 19].

ذَكَرَ الله أن الأرض واسعة، والواسع ما كان مُمتدًا لا تحِده الحدود الضيقة.

(يا عبادي الذي آمنوا "إن أرضي واسعة" فإياي فاعبدون) [العنكبوت: 56].

(قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة "وأرض الله واسعة" إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) [الزمر: 10].

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا "ألم تكن أرض الله واسعة" فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرًا) [النساء: 97].

أخبرنا الله أن الجنة عرضها السماوات والأرض، إذا كان هذا عرضها فما بالك بطولها، ونستفيد من هذا الإخبار أن الأرض والسماوات واسعتين شديدتي الوسع.

(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين) [آل عمران: 133].

(سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) [الحديد: 21].

وأخبر أن الأرض ذلولة، وذُلِّلَ الشيء أي سَهُل ويُسِّر وانقاد وخضع. أما المناكب فقيل أنه أطراف وجوانب الأرض وقيل أنها الجبال.

(هو الذي جعل لكم "الأرض ذلولًا" فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) [المُلك: 15].

ذُكِرت أطراف وأقطار الأرض وهي قد تحمل عدة معاني.

أما أقطار ومفرده قُطْرُ فمعناه ناحية وطرف وجانب، ومنه يتبادر إلى الذهن بوجود أطراف للأرض والسماوات.

(يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من "أقطار السماوات والأرض" فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) [الرحمن: 33].

الأرض مُثبةٌ بالجبال

الجِبال أُلقيت على الأرض لتثبتها وتمنعها من الميد، ومعنى الميد التمايل والحركة والاضطراب. وأما الرُّسو فمعناه التوقف عن الحركة. والمرساة هو ثقل يلقى في الماء ليمسك السفينة.

(وهو الذي مد الأرض "وجعل فيها رواسي" وأنهارًا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) [الرعد: 3].

(وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارًا وسبلًا لعلكم تهتدون) [النحل: 15].

(وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون) [الأنبياء: 31].

(والأرض مددناها "وألقينا فيها رواسي" وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) [الحجر: 19].

(أمن جعل الأرض قرارًا وجعل خلالها أنهارًا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزًا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) [النمل: 61].

(خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) [لقمان: 10].

(وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين) [فصلت: 10].

(والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) [ق: 7].

(وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتًا) [المرسلات: 27].

(والجبال أرساها) [النازعات: 32].

وقد شبه الله الجبال بالأوتاد في تثبيتها للأرض. الوتد ما ثُبِتَ في الأرض أو الحائط. يقال وتَّدَ الْخيمةَ يعني ثبتها بالأوتاد.

(والجبال أوتادًا) [النبأ: 7].

وأخبر أن الأرض قرارًا، وتحتمل معنيين: الأول أن الأرض قارة ثابتة، والثاني أن الأرض هي مُستقرنا.

(الله الذي جعل لكم الأرض قرارًا والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) [غافر: 64].

(أمن جعل الأرض قرارًا وجعل خلالها أنهارًا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزًا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) [النمل: 61].

الأرض مُستقرُنا

خلقنا الله خلائف في الأرض نخلف بعضنا بعضًا، خلقنا لنكون خلفاء في الأرض وليس مكانًا آخر، وتكرر هذا المعنى في أكثر من موضع في القرآن.

(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) [البقرة: 30].

الأرض هي دارنا المؤقتة من أجل الاختبار إلى أن يأتي يوم القيامة فيذهب كل فردٍ إلى دار الخلد الذي اختاره لنفسه.

(قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) [الأعراف: 24].

(فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) [البقرة: 36].

خلقنا الله من الأرض وسيعيدنا إليها ثم سيبعثنا منها.

(منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) [طه: 55].

استحالة الخروج من أقطار السماوات والأرض، والآية تقول على سبيل التعجيز إن استطعتم أن تخرجوا عن مُلك الله فافعلوا.

(يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان * يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) [الرحمن: 33 - 34].

فترة خلق الأرض والسماء

خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام، وقد اختلف أهل التفسير هل هي أيام كأيامنا هذه (24 ساعة) أم أنها تساوي ستة آلاف سنة مستدلين بآية (وإنّ يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون)، والمطلوب من المسلم أن يؤمن أن خلق السماوات والأرض يساوي ستة أيام كما أخبرنا الله.

(إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) [الأعراف: 54].

(وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا وإن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين) [هود: 7].

(ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) [ق: 38].

أربعة أيام للأرض ويومان للسماوات.

(قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءً للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظًا ذلك تقدير العزيز العليم) [فصلت: 9 - 12].

آيات سورة فصلت تُفيد عدد أيام الخلق، أما ما ورد في سورة النازعات فيفيد الترتيب كما قال أهل التفسير؛ فالأرض خلقت أولًا من غير دحو في يومين، ثم خلقت السماوات في يومين، ثم دحيت الأرض في يومين، ثم استوى الله على العرش، وهذا ترتيب خلق الأرض والسماوات.

(أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعًا لكم ولأنعامكم) [النازعات: 27 - 33].

روابط ذات صلة

(1) معنى أرض في لسان العرب لابن المنظور.

(2) مقال لفظ (الأرض) في القرآن، الصفحة 892 إلى 894، من كتاب بغيةُ السائلِ منْ أوبدِ الْمَسائِلِ، الكاتب وليد المهدي، دار الرّف.

(3) مقال وإلى الأرض كيف سطحت، الكاتب محسن الغيثي، يتحدث في طيات المقال عن فرق المعنى بين الأرض والبر.